

المارتولوس ونشاطهم العسكري في الدولة العثمانية

أ.م.د. سنان صادق جواد السعدي

جامعة ديالى / كلية العلوم الإسلامية

الخلاص

شهدت الدولة العثمانية منذ تأسيسها توسعا ملحوظا في الأراضي الأوروبية والآسيوية، وقد اعتمدت في ذلك على نظام عسكري متنوع يجمع بين الجيوش النظامية شبه النظامية والفتات المحلية. من أبرز هذه الفئات المارتولوس، الذين لعبوا دورا محوريا في حفظ الأمن الداخلي وحماية الحدود والمناطق المفتوحة، خصوصا في البلقان وألبانيا ومقدونيا. تميز المارتولوس بكونهم قوات شبه نظامية غالبا من غير المسلمين، احتفظوا بهويتهم الدينية والاجتماعية مقابل خدمة الدولة العثمانية، فكانوا بمثابة الذراع العسكرية والأمنية المرنة في المناطق الجبلية والحساسة. وقد أسهموا بشكل فعال في تأمين الطرق والقوافل وحماية القلاع والمعابر الحدودية، كما لعبوا دورا استخباريا هاما خلال الحملات العسكرية ضد القوى الأوروبية المجاورة. يندرج هذا البحث في إطار دراسة الجانب التنظيمي والعسكري للمارتولوس، وتحليل دورهم في خدمة الدولة العثمانية من خلال استعراض نشأتهم، تنظيمهم، مهامهم، وأسباب تراجعهم لاحقا، وصولا إلى تقييم أثرهم في السياسة العسكرية والأمنية العثمانية. الكلمات المفتاحية: المارتولوس، الدولة العثمانية، العسكرية، النظام

Abstract

Since its establishment, the Ottoman Empire witnessed remarkable territorial expansion across Europe and Asia. This expansion relied on a diverse military system that combined regular, semi-regular, and local forces. Among the most prominent of these groups were the martolos, who played a pivotal role in maintaining internal security and safeguarding the borders and open territories, particularly in the Balkans, Albania, and Macedonia. The martolos were characterized as semi-regular forces, often recruited from non-Muslim populations who retained their religious and social identity in exchange for serving the Ottoman state. They functioned as a flexible military and security arm in mountainous and sensitive regions. Their duties included securing roads and caravans, protecting fortresses and border passes, and performing important intelligence functions during military campaigns against neighboring European powers. This study falls within the framework of examining the organizational and military aspects of the martolos, analyzing their role in serving the Ottoman state by tracing their origins, organization, functions, and the reasons behind their later decline, ultimately assessing their impact on Ottoman military and security policy. Keywords: Martolos, Ottoman Empire, Military System, Organization

المقدمة :

يعد المارتولوس (Martolos) من الظواهر العسكرية-الإدارية اللافتة في تاريخ الدولة العثمانية، لما يعكسه من مرونة في البنية العسكرية العثمانية وقدرة على توظيف العناصر المحلية في خدمة التوسع والسيطرة. فقد ارتبط ظهور المارتولوس بالسياق الحدودي للدولة العثمانية في البلقان والأناضول، إذ شكلوا فئة شبه عسكرية جرى استيعابها ضمن المنظومة العثمانية، مع احتفاظها بقدر من الخصوصية التنظيمية والوظيفية. نشط المارتولوس أساسا في المناطق الحدودية والوعرة، وأسندت إليهم مهام عسكرية وأمنية متنوعة، من أبرزها الاستطلاع، وحراسة الطرق والممرات الجبلية، وتأمين القلاع، وملاحقة العصابات، فضلا عن دورهم في جمع المعلومات الاستخباراتية عن تحركات الخصوم وقد ساعدتهم في ذلك إلمامهم بالجغرافية المحلية، ومعرفتهم باللغات والعادات السائدة في تلك المناطق، الأمر الذي جعلهم عنصرا فاعلا في السياسة العسكرية العثمانية، لاسيما في مراحل التوسع الأولى، ومن الناحية الإدارية خضع المارتولوس لنظام خاص من الامتيازات والالتزامات، إذ منحوا إعفاءات ضريبية أو رواتب محددة مقابل خدماتهم العسكرية، كما ارتبطوا مباشرة بالسلطات العثمانية المحلية أو المركزية بحسب طبيعة مهامهم. ويكشف تتبع نشاطهم العسكري عن سياسة عثمانية واعية في استثمار الطاقات البشرية المتاحة، بغض النظر عن الانتماء الديني أو العرقي، بما

يخدم استقرار الدولة وحماية حدودها. إن دراسة نشاط المارتولوس العسكري لا تقتصر على رصد دورهم القتالي فحسب، بل تسهم أيضا في فهم آليات الحكم العثماني وطبيعة العلاقة بين الدولة والمجتمعات المحلية، وكيفية تشكل مؤسسات عسكرية مرنة قادرة على التكيف مع التحديات الجغرافية والسياسية المتغيرة. تكمن فرضية البحث في التساؤل عن طبيعة المارتولوس، وما هي نشأتهم وأصلهم التاريخي، وكيف تم تنظيمهم اداريا وعسكريا ضمن البنية العثمانية، وما الدور الذي أدوه في الأمن الداخلي والحملات العسكرية، وما العوامل التي أدت إلى تراجعهم واندماجهم في وحدات أخرى لاحقا. الإجابة على هذه التساؤلات تساعد في فهم ديناميكية استخدام الدولة العثمانية للفتات المحلية شبه النظامية ودورها في إنجاح سياسات التوسع والسيطرة اما اهداف البحث، فيمكن اجمالها في توضيح أصل المارتولوس ونشأتهم التاريخية، ودراسة البنية التنظيمية والإدارية لهم ضمن الدولة العثمانية، فضلا عن تحليل نشاطهم العسكري والأمني وأهم العمليات التي شاركوا فيها ورصد العوامل التي أدت إلى تراجعهم وانتهاء دورهم، كذلك إبراز أثرهم في تثبيت السلطة العثمانية في المناطق الأوروبية المفتوحة.

المبحث الأول: المارتولوس ونشاطهم العسكري في الدولة العثمانية

أولا - نشأة المارتولوس وتطورهم التاريخي

يعد المارتولوس (Martolos) احد التشكيلات العسكرية شبه النظامية التي برزت في بنية الجيش العثماني خلال مراحلها الأولى لتأسيس الدولة العثمانية، وقد ارتبط ظهورها ارتباطا وثيقا بالتحويلات السياسية والعسكرية التي رافقت توسع الدولة العثمانية في أوروبا الشرقية. وأصل الكلمة يوناني مارتولوس أو مارتولوسيس (Martolos/Martoloses) ويعني المحارب أو المقاتل، وقد استخدمها العثمانيون للإشارة إلى المسيحيين المحليين الذين جندوا في خدمة الدولة لأداء مهام عسكرية وأمنية محددة في المناطق الجبلية والحدودية.^(١) كانت بداية استعمال هذا المصطلح في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي، في ظل حكم السلطان مراد الأول (١٣٦٢-١٣٨٩م)^(٢)، عندما بدأت الدولة العثمانية تتوسع في شبه جزيرة البلقان، حيث واجهت تضاريس وعرة وطرقا جبلية تحتاج إلى حراسة دائمة وتأمين ضد هجمات المتمردين والغزاة. ولأن السكان المحليين كانوا أكثر دراية بتلك المناطق، استعان العثمانيون بهم، وخصوهم بوضع إداري خاص مكنهم من خدمة الدولة مقابل امتيازات مادية وإعفاءات ضريبية.^(٣) ويذكر أن المارتولوس لم يكونوا من المسلمين في الأصل، بل من النصارى الأرثوذكس والكاثوليك المقيمين في المناطق الواقعة تحت السيطرة العثمانية، لاسيما في ألبانيا وصربيا واليونان والبوسنة. وكانوا يكلفون بمهام ذات طابع عسكري وأمني مثل، حراسة الممرات الجبلية والقلاع الحدودية، وتأمين الطرق التجارية وحماية القوافل، ومراقبة تحركات القوات المعادية أو العصابات المحلية، تنفيذ العمليات الخاطفة أثناء الحملات الحربية. وقد أكد المؤرخ شكيب أرسلان أن نظام المارتولوس لم يكن اختراعا عثمانيا خالصا، بل هو امتداد لتقليد قديم كان قد عرفته الإمبراطوريات السابقة في المنطقة، مثل الإمبراطورية البيزنطية التي اعتمدت على السكان المحليين في حماية الحدود الجبلية، غير أن الدولة العثمانية طوّرت ذلك النظام وجعلته جزءا من بنيتها الإدارية والعسكرية الرسمية.^(٤) ويشير الباحث خليل إينالجي إلى أن المارتولوس شكلوا نموذجا فريدا من التكامل بين الدولة العثمانية ورعاياها غير المسلمين، إذ مثلوا نوعا من التعاون العسكري الطوعي الذي حافظ على ولاء السكان المحليين، وأتاح للدولة إنشاء شبكة دفاعية محلية فعالة في المناطق النائية.^(٥) كما يذكر كولين إمبر^(٦) أن المارتولوس كانوا يُعتبرون من القوى غير النظامية، لكن دورهم في العمليات الميدانية كان حاسما خصوصا في الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية ضد المجر والنمسا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر. ومع مرور الزمن تطور نظام المارتولوس تنظيما؛ فقد خضعوا لإشراف إداري مباشر من قبل الدولة، وكان يسجل عددهم ومواقع خدمتهم ورواتبهم في دفاتر رسمية تعرف باسم دفاتر المارتولوس، وكان على رأسهم ضابط يُدعى (أغا المارتولوس) او (مارتولوس باشي) وكان يتبع في الغالب للوالي أو الباشا في المنطقة.^(٧) ولأنهم ليس مسلمين فقد أعفي المارتولوس من الخدمة الإلزامية، وسمح لهم بالبقاء على دينهم مقابل أداء واجباتهم العسكرية بإخلاص وفي المقابل كانت الدولة تمنحهم امتيازات مالية مثل الإعفاء من الجزية والضرائب، ومنح أراض صغيرة (تيمارات)^(٨) مقابل الخدمة. تلك السياسة عززت الولاء للدولة العثمانية، وساهمت في خلق نموذج من الاندماج العسكري والإداري بين العثمانيين والمسيحيين المحليين. ومن الناحية اللغوية أصبح مصطلح مارتولوس لاحقا يُستخدم للدلالة على أي وحدة محلية شبه عسكرية تعمل تحت إشراف الدولة العثمانية، حتى وإن لم تكن من المسيحيين. ومع توسع الدولة بدأت بعض هذه الوحدات تضم عناصر مسلمة من أبناء المناطق العثمانية، مما غير من طابعها الديني والاجتماعي بمرور الوقت.^(٩)

ثانيا - ظروف نشأة المارتولوس في الدولة العثمانية

١ - الظروف السياسية والعسكرية

شهدت الدولة العثمانية خلال توسعها في أوروبا الجنوبية والبلقان تحديات ميدانية معقدة، أبرزها الطبيعة الجبلية الصعبة وكثرة الثورات المحلية، ولذلك اعتمدت على نظام المارتولوس لمواجهة تلك الصعوبات من خلال تجنيد مقاتلين محليين يجيدون القتال في تلك البيئات الوعرة ويعرفون الطرق والمسالك الدقيقة⁽¹⁰⁾. كان المارتولوس أداة فعالة للسيطرة على المناطق الجديدة، إذ ساهموا في حفظ الأمن وإخماد الانتفاضات في ألبانيا وصربيا والبوسنة، وهو ما جعلهم جزءا من سياسة العثمانيين في دمج الشعوب المختلفة ضمن نظامهم العسكري والإداري.⁽¹¹⁾

٢ - الظروف الاجتماعية والدينية

كان أغلب أفراد المارتولوس من المسيحيين الأرثوذكس الذين قبلوا الخدمة في الجيش العثماني مقابل امتيازات اقتصادية واجتماعية. وقد سمحت لهم الدولة بالحفاظ على عقيدتهم وشعائرهم الدينية، ما جعل ذلك النظام مقبولا في أوساطهم.⁽¹²⁾ ومن خلاله استطاعت الدولة العثمانية تحقيق توازن ديني وإداري في مناطق ذات أغلبية غير مسلمة دون اللجوء إلى العنف أو الإكراه.

٣ - الدوافع الاقتصادية

من الأسباب التي شجعت السكان على الانضمام إلى المارتولوس حصولهم على رواتب ثابتة أو إعفاءات ضريبية، فضلا عن تخصيص بعض الأراضي لهم ضمن نظام التمليك العسكري، مما وفر لهم مصدر رزق دائم وكان الحافز الاقتصادي سببا رئيسا في استقرار المناطق الحدودية وتقليل النزاعات القبلية، إذ تحول كثير من المقاتلين السابقين إلى عناصر تابعة رسميا للدولة.⁽¹³⁾

ثالثا : التطور التاريخي للمارتولوس

المرحلة التأسيسية (القرنان ١٤-١٥م) بدأ ظهور المارتولوس مع بدايات التوسع العثماني في أوروبا، خصوصا بعد معركة قوصوه عام ١٣٨٩م، إذ احتاجت الدولة العثمانية إلى قوات محلية تعرف طبيعة الأراضي البلقانية. في تلك المرحلة، كان دورهم يقتصر على حراسة الطرق وتأمين الممرات الجبلية، وتطورت مهامهم تدريجيا لتشمل الاستطلاع والدعم اللوجستي.⁽¹⁴⁾

مرحلة التنظيم والدمج (القرنان ١٦-١٧م) مع استقرار الحكم العثماني في البلقان، أعيد تنظيم المارتولوس إداريا وربطهم مباشرة بولايات معينة مثل سالونيك وسراييفو، وأصبحوا جزءا من التركيب العسكري الرسمي مع تحديد رتبهم ورواتبهم بوضوح⁽¹⁵⁾. في تلك المرحلة شارك المارتولوس في عدة حملات ضد النمسا والمجر، وبرز دورهم في الحروب الحدودية الصغيرة التي تطلبت سرعة حركة ومهارة في القتال غير النظامي.⁽¹⁶⁾

مرحلة التراجع والانحسار (القرن ١٨م) مع ضعف الدولة العثمانية وازدياد اعتمادها على الجيش النظامي الجديد، بدأت مكانة المارتولوس تتراجع. فقد فقدوا الكثير من امتيازاتهم وتحول بعضهم إلى ميليشيات محلية أو انخرطوا في النزاعات الإقليمية. وبحلول أواخر القرن الثامن عشر ألغيت معظم وحداتهم أو تم دمجها ضمن التشكيلات العسكرية الحديثة التي أسسها السلطان سليم الثالث، لكن الغائهم بشكل نهائي كان في عام ١٨٣٣ ضمن حملة الإصلاح التي قام بها السلطان محمود الثاني⁽¹⁷⁾ (١٨٠٨ - ١٨٣٩) ⁽¹⁸⁾

رابعا : أهمية المارتولوس في السياسة العسكرية العثمانية

لعب المارتولوس دورا حيويا في السياسة الدفاعية للدولة العثمانية، إذ مثلوا حلقة وصل بين الجيش النظامي والسكان المحليين، وساهموا في تعزيز الأمن الداخلي في المناطق الجبلية والحدودية، وتسهيل اندماج الشعوب البلقانية في النظام العثماني دون مقاومة مسلحة واسعة، وتوفير دعم استخباراتي ومعرفة دقيقة بطبيعة الأرض والأعداء المحليين.⁽¹⁹⁾ مثل المارتولوس أهم أدوات الإدارة العسكرية العثمانية المحلية في أوروبا، إذ استطاعت الدولة من خلالهم السيطرة على مناطق واسعة دون الحاجة إلى جيوش كبيرة أو نفقات باهظة.⁽²⁰⁾ يمكن القول إن نظام المارتولوس كان قد مثل تجربة فريدة في التاريخ العسكري العثماني، حيث جمع بين الاستفادة من الموارد البشرية المحلية وبين الحكمة الإدارية والسياسية في دمج عناصر غير مسلمة ضمن جهاز الدولة. لقد أدى المارتولوس دورا بارزا في تأمين الحدود، وحماية القلاع، وتنفيذ مهام الاستطلاع، مما جعلهم ركيزة أساسية في استقرار الحكم العثماني في أوروبا طوال القرون الوسطى.

المبحث الثاني: التنظيم الإداري والعسكري للمارتولوس

أولا - البنية التنظيمية للمارتولوس

تميز الهيكل الإداري والقيادي للمارتولوس بتركيب إداري وعسكري منظم يجمع بين المرونة الميدانية والانضباط النظامي. ففي قمة الهرم القيادي كان يوجد مارتولوس باشي (Martolos Basi) وهو القائد الأعلى للوحدة، الذي يتولى الإشراف على العمليات الميدانية والتدريب وتوزيع المهام، ويرفع تقاريره إلى الوالي أو إلى البيكلربك المسؤول عن الإقليم.⁽²¹⁾ ويليه في الهرم القيادي آغا المارتولوس (Martolos Agasi) وهو القائد الأعلى في المقاطعة، ويكون مسؤول عن تعيين القائد الأدنى منه وتنسيق العمليات مع القيادات الأعلى منه، يلي آغا المارتولوس الأوباشي (Obabsi)

وهو قائد الوحدة الوسطى، وغالبا ما يكون مسؤولا عن مجموعة تتكون من ١٠ الى ٢٠ فردا، ويأتي بعد الأوباشي البريكتار (Bayaktar) حامل الرتبة، وهو منصب قيادي ميداني يرمز لوحدة المجموعة، ومن ثم المارتولوس، وهم الجنود المشكلون للقاعدة الاساسية، الذين يتمتعون باعفاءات ضريبية مقابل خدمتهم العسكرية. قيادة المارتولوس باشي كان يوجد عدد من القادة المحليين يلقبون بـ(الأغوات)، كل منهم يدير مجموعة صغيرة تتراوح بين عشرين وخمسين مقاتلا. وكان هؤلاء القادة مسؤولين عن تطبيق الأوامر العسكرية والانضباط في الميدان⁽²²⁾. وقد ساهم هذا التنظيم الهرمي في خلق وحدة ميدانية منسجمة تتسم بالسرعة في التحرك والدقة في التنفيذ⁽²³⁾. كان اختيار وتجنيد المارتولوس يتم على أسس محددة، اهمها المعرفة الجغرافية الدقيقة بطبيعة الجبال والممرات الحدودية، والقدرة البدنية العالية على القتال في المناطق الوعرة، والولاء للدولة العثمانية، رغم بقاء معظمهم على دينهم المسيحي. وقد كانت عملية التجنيد تتم غالبا بالتوصية من الزعماء المحليين أو القادة العسكريين الذين يعرفون ولاء المتقدمين وكفاءتهم. ومع مرور الزمن أصبح الانضمام إلى المارتولوس مهنة وراثية في بعض العائلات البلقانية، مما عزز استقرار النظام⁽²⁴⁾. اما توزيعهم الجغرافي والإقليمي، توزع المارتولوس على مناطق واسعة من البلقان مثل ألبانيا ومقدونيا والبوسنة وصربيا، والمناطق الجبلية على الحدود مع المجر والنمسا. وقد تمركزوا في القلاع الاستراتيجية والممرات الحيوية التي تربط بين الأناضول وأوروبا، مثل قلاع سراييفو ونوفو بازار وسالونيك، مما جعلهم عنصرا أساسيا في منظومة الدفاع العثمانية⁽²⁵⁾. اما فيما يتعلق بعلاقتهم مع السلطة العسكرية النظامية في الدولة العثمانية رغم كونهم قوات شبه نظامية، فقد كان المارتولوس يخضعون للسلطة العسكرية المركزية عند الحاجة وفي الحملات الكبرى، كانوا يعملون إلى جانب قوات الإنكشارية والسباهية، وتوكل إليهم مهام الاستطلاع وتأمين المؤخرة والممرات الجبلية. وكانت هذه العلاقة تكاملية أكثر منها تبعية، إذ اعتمد الجيش النظامي على المارتولوس كمصدر استخباراتي محلي وكمقاتلين في المناطق التي يصعب الوصول إليها⁽²⁶⁾.

ثانيا - الامتيازات والواجبات العسكرية للمارتولوس

تنوعت المهام التي أسندت إلى المارتولوس بين العسكرية والأمنية، ومن أبرزها حراسة القلاع والممرات الجبلية وتأمين الطرق التجارية، ومراقبة التحركات المعادية وإرسال التقارير الاستخبارية إلى القيادة، ومكافحة العصابات المحلية والتمردات في المناطق الجبلية، والمشاركة في الحملات العسكرية الكبرى عند استدعائهم من قبل القيادة المركزية⁽²⁷⁾. وكان لهذه الواجبات أثر مباشر في حماية المصالح الاستراتيجية للدولة وضمان الاستقرار في مناطق بعيدة عن العاصمة. اما فيما يتعلق بالامتيازات والحوافز منحت الدولة العثمانية المارتولوس مجموعة من الامتيازات المالية والاجتماعية لضمان ولائهم واستمرار خدمتهم، أبرزها الإعفاء من الضرائب المفروضة على غيرهم من السكان، وتخصيص أراض زراعية صغيرة أو منح مالية تسمى مقطعات مقابل الخدمة، والاحتفاظ بالديانة المسيحية وممارسة الشعائر بحرية تامة، والتمتع بحماية قانونية داخل مناطق خدمتهم، فلا يخضعون للمحاكم الشرعية الإسلامية في المسائل الخاصة بهم⁽²⁸⁾. هذه الامتيازات جعلت المارتولوس طبقة شبه عسكرية متميزة في المجتمع البلقاني، تجمع بين الولاء الإداري والهوية الدينية المستقلة. فرضت الدولة العثمانية نظاما صارما في التعامل مع المارتولوس، إذ كانت العقوبات تتدرج من الخصم المالي إلى الإعدام في حال الخيانة أو التمرد. وقد صدرت أوامر سلطانية عدة لضمان التزامهم، منها فرمان السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢)⁽²⁹⁾ سنة ١٥٠١م الذي شدد على معاقبة كل عنصر من عناصر المارتولوس في حال اتهم بالتهاون في حراسة الحدود أو يتعاون مع الأعداء⁽³⁰⁾. أثرت الامتيازات والتنظيم على الفعالية العسكرية إذ ساهم الجمع بين التنظيم الإداري الصارم والامتيازات المادية في جعل المارتولوس قوة فاعلة و متماسكة. فقد أثبتوا كفاءة كبيرة في حماية الممرات الجبلية وصد هجمات المجر والنمسا، بل وأصبحوا نموذجا أوليا للقوات الخاصة التي تعتمد على المرونة والتكتيك المحلي أكثر من العدد اي انهم كانوا قد اصبحوا قوة عسكرية تعتمد النوع وليس الكم⁽³¹⁾.

ثالثا - علاقة المارتولوس بالمجتمع المحلي

لعب المارتولوس دورا مهما في التفاعل الاجتماعي اذ شكلوا حلقة وصل بين السلطة العثمانية والسكان المحليين، إذ ساهموا في نقل الأوامر وتطبيق القوانين في المناطق الريفية والنائية. كما كان لهم دور في تسوية النزاعات القبلية، وإقامة علاقات متوازنة بين السكان والسلطات العسكرية⁽³²⁾. لم يعر المارتولوس البعد الديني والسياسي اية أهمية رغم أنهم مسيحيون، بسبب كون علاقتهم بالدولة الإسلامية العثمانية كانت علاقة مصلحة مستقرة، تقوم على تبادل المنفعة الدولة توفر الأمن والامتيازات، والمارتولوس يقدمون الخدمة العسكرية والدفاعية. وقد استغل العثمانيون هذه العلاقة لتثبيت حكمهم في مناطق يغلب عليها العنصر غير المسلم دون اللجوء إلى القوة، مما عد إحدى أنجح السياسات العسكرية في التاريخ العثماني الأوروبي⁽³³⁾. من خلال هذا المبحث يتضح أن نظام المارتولوس لم يكن مجرد تنظيم عسكري محدود، بل كان مؤسسة إدارية واجتماعية متكاملة. فقد أسهمت بنيته التنظيمية المرنة وامتيازاته المدروسة في تكوين نموذج إداري فريد ضمن التجربة العثمانية، يجمع بين عناصر الانضباط

العسكري والتكامل الاجتماعي. وبذلك شكل المارتولوس أحد أعمدة النفوذ العثماني المستدام في البلقان، قبل أن تبدأ ملامح تراجعهم في القرن الثامن عشر مع ظهور الجيش النظامي الحديث.

الصبغ الثالث: الدور العسكري للمارتولوس في الحملات العثمانية

اولا- المارتولوس في الدفاع عن الحدود الأوروبية

كان للمارتولوس دور مهم في حماية البلقان والمناطق الحدودية منذ القرن الخامس عشر. برز المارتولوس كقوة حيوية في حماية الحدود الشمالية للدولة العثمانية، خاصة في المناطق الجبلية الممتدة بين ألبانيا وصربيا والبوسنة. كانت مهمتهم الأساسية رصد التحركات العسكرية المعادية وتأمين الطرق والممرات الجبلية التي استخدمتها الجيوش العثمانية أثناء الحملات. ويشير محمد فؤاد شكري إلى أن نجاح العثمانيين في فرض الاستقرار في البلقان يعود بدرجة كبيرة إلى فعالية المارتولوس، الذين شكلوا عيون الدولة وآذانها في المناطق الجبلية⁽³⁴⁾. كما كان المارتولوس يتولون إرسال التقارير اليومية إلى الولاة والقادة العسكريين حول نشاط الجيوش المعادية، خاصة قوات النمسا والمجر. وقد سمح ذلك للعثمانيين باتخاذ قرارات استراتيجية مبكرة، مما قلل من احتمالات الهجوم المباغت⁽³⁵⁾. تولى المارتولوس مهام حراسة المدن الحصينة في المناطق الحدودية مثل بلغراد وسراييفو ونوفو بازار، وكانوا يُعرفون ببسالتهم في الدفاع عنها خلال الهجمات المتكررة من قبل القوى الأوروبية. وفي عام ١٥٢١م شاركوا في معركة بلغراد إلى جانب القوات الإنكشارية، وكان لهم دور حاسم في حماية الجهة الشمالية من القلعة أثناء القصف النمساوي. وقد تميزوا في هذه المعركة بقدرتهم على القتال في الممرات الضيقة والمناطق الصخرية، وهي بيئة لم تكن مألوفة للجيش النظامي. وهكذا أثبت المارتولوس أنهم يمثلون عنصرا مكملا لاغنى عنه في المنظومة الدفاعية العثمانية⁽³⁶⁾.

ثانيا - المارتولوس في الحملات العثمانية

١- مشاركتهم في الفتوحات الأوروبية

لم يقتصر دور المارتولوس على الدفاع، بل شاركوا أيضا في العمليات الهجومية الكبرى، لاسيما أثناء التوسع العثماني في المجر ووسط أوروبا. فقد شارك المارتولوس في معركة فارنا عام ١٤٤٤م كقوات استطلاع وحراسة للممرات في البلقان، فضلا عن قيامهم بمهمة رصد تحركات جيوش (فلاديسلاف الثالث)⁽³⁷⁾ ملك المجر وبولندا. وخلال فتح القسطنطينية لعب المارتولوس دورا مهما؛ بسبب المهام المتنوعة التي انيطت بهم، اذ اوكلت لهم مهمة حفر الخنادق تحت الاسوار وزرع الالغام فيها من اجل اضعاف تلك الاسوار، كما قاموا بمهمة تأمين طريق الامدادات القادمة من البلقان الى معسكر السلطان محمد الفاتح قرب اسوار القسطنطينية، فضلا عن مشاركتهم كوحدات مشاة خفيفة شاخت في الهجمات الاولى التي كانت تهدف الى انهاء القوات المدافعة عن القسطنطينية قبل اشراك قوات النخبة من الانكشارية. وفي معركة موهاج او موهاكس ١٥٢٦م، كان للمارتولوس دور مهم في الاستطلاع والتمهيد الميداني، كما كان لهم دور مهم في تأمين الجسور والعبارات على نهر الدانوب قبل وصول الجيش الرئيسي، فضلا عن ذلك تولوا تحديد مواقع القوات المجرية وتزويد القيادة العثمانية بالمعلومات الدقيقة عن طبيعة الأرض والطرق البديلة⁽³⁸⁾. كما شاركوا في الحصار الطويل لفيينا ١٥٢٩م، حيث كُلفوا بحماية خطوط الإمداد وتأمين القوافل القادمة من بلغراد إلى الجبهة، وهو ما مكن الجيش العثماني من الحفاظ على خطوطه اللوجستية رغم بعد المسافة⁽³⁹⁾.

٢- دورهم في البحر الأدرياتيكي

بسبب وجودهم الكثيف في ألبانيا والبوسنة، شارك المارتولوس في العمليات البحرية ضد جمهورية البندقية، وكانوا يستخدمون الزوارق الصغيرة في تنفيذ عمليات الإغارة والمراقبة الساحلية. وقد ذكر شكيب أرسلان أن بعض وحدات المارتولوس كانت تُدمج مؤقتا مع الأسطول العثماني في الحملات البحرية ضد البندقية عام ١٥٧٠م، خصوصا في حملة قبرص⁽⁴⁰⁾. وفي المناطق الساحلية القريبة من البحر مثل دلماشيا والبانيا والجبل الأسود، لم يكن المارتولوس مجرد جنود بل تنوعت مهامهم لتشمل حماية الثغور والحدود، وانما تمركزوا في القلاع العثمانية المطلة على الادرياتيكي مثل قلعة (كليس) وقلاع اقليم الهرسك، لصد غارات اليوسوكوك⁽⁴¹⁾ (Uskoks) والمقاتلين الموالين للبندقية. كما قاموا بعمليات القرصنة والمناوشات البحرية من خلال المشاركة في الغارات البحرية الخاطفة باستخدام السفن الصغيرة مستهدفين السفن التجارية التابعة للبندقية والمدن الساحلية الخاضعة لها، كذلك اجادوا استغلال انتمائهم العرقي السلافي او الالباني وقدرتهم على التحدث بلغات المنطقة في التسلل الى الاراضي التابعة للبندقية لجمع المعلومات الاستخبارية. فضلا عن ذلك قاموا بفرض الضرائب وتأمين الطريق المؤدي الى موانئ الادرياتيكي مثل طريق البوسنة - سبليت، وطريق راغوزا- دوفروفنيك⁽⁴²⁾. تظهر هذه المشاركة أن المارتولوس لم يكونوا مجرد مقاتلين محليين، بل قوات متعددة الوظائف استطاعت الدولة استثمارها في البر والبحر.

١- إخماد الثورات المحلية

كان من أبرز أدوار المارتولوس قيامهم بعمليات قمع التمردات المحلية التي نشبت في البلقان ضد الحكم العثماني، وخاصة ثورات الصرب والألبان في القرنين السادس عشر والسابع عشر. ففي عام ١٥٩٤م، شارك المارتولوس في قمع ثورة صربيا الكبرى، حيث استخدمتهم الدولة نظرا لمعرفتهم الجيدة بالمنطقة ولقدرتهم على التمييز بين المتمردين والسكان المدنيين⁽⁴³⁾، كما أسهموا في السيطرة على الاضطرابات في ألبانيا الشمالية خلال القرن السابع عشر، وكان لهم دور فعال في تأمين الطرق التجارية بين إسطنبول وسراييفو⁽⁴⁴⁾. وفي انتفاضة قبائل كليمنتي وكاغين في شمال البانيا للمدة من ١٦١٠-١٦١٤، صدرت الاوامر السلطانية الى آغا المارتولوس في سنجق اشقودرة⁽⁴⁵⁾ بتعبئة المقاتلين المحليين لمواجهة قبائل كليمنتي التي كانت تقوم بقطع طرق التجارة، إذ كان المارتولوس هم القوة الوحيدة القادرة على ملاحقتهم في الممرات الجبلية الوعرة. وفي عام ١٦٣٨ قاد درويش باشا حملة كبرى لتأمين المناطق الجبلية في البانيا ومقدونيا، وفي تلك الحملة استعان درويش باشا بفرقة من المارتولوس كان قوماها ٢٠٠٠ مقاتل التي كانت مهمتها الاستطلاع وكقوة مشاة خفيفة لتأمين مؤخرة الجيش من هجمات المتمردين الألبان⁽⁴⁶⁾. وخلال الحرب كريت بين الدولة العثمانية والبندقية التي استمرت طوال المدة ١٦٤٥-١٦٦٩، استغلت القبائل الألبانية بدعم من البندقية انشغال الجيش العثماني للقيام باضطرابات واسعة، إذ شهد عام ١٦٥٨م استخدام المارتولوس في منطقة حوض نهر درين لخماد تمرد محلي كان مدعوما من قبل البنادقة، وفي عام ١٦٦٥م اعطي المارتولوس صلاحيات أمنية واسعة في المدن الساحلية مثل اولسيني(Ulcinj) وبار، شملت تلك الصلاحيات مراقبة السواحل وتفتيش السفن المحلية لمنع الاهالي من التجسس والتعاون مع اسطول البندقية، وذلك بسبب تزايد النشاط الاستخباري للبندقية التي كانت تعتمد على السكان المحليين لنقل المعلومات عن تحركات الجيش العثماني في منطقة الادرياتيك⁽⁴⁷⁾

٢- الأمن الداخلي والاستخبارات

لعب المارتولوس دورا امنيا داخليا مهما، إذ كانوا يتولون جمع المعلومات عن أي نشاط معادٍ أو تحركات مشبوهة. وكانت لهم شبكة محلية واسعة من المخبرين في القرى والبلدات، تُرسل تقاريرها إلى القيادة العسكرية في الولاية. ويذكر نورمان ليتزكوفيز أن هذا النظام الاستخباراتي البسيط ساهم في الحفاظ على استقرار المناطق الجبلية أكثر من أي نظام إداري آخر⁽⁴⁸⁾.

رابعا - أسباب تراجع الدور العسكري للمارتولوس

١- التحول إلى الجيش النظامي الحديث

مع بداية القرن الثامن عشر، بدأ العثمانيون بتأسيس الجيش النظامي الحديث في عهد السلطان سليم الثالث، الذي اعتمد على التدريب الأوروبي والتسليح الحديث. وبذلك تقلص دور المارتولوس تدريجيا، لأنهم لم يمتلكوا البنية التنظيمية أو التدريب اللازم لمواكبة هذا التحول⁽⁴⁹⁾.

٢- ضعف الولاء وتعدد الولاءات المحلية

نتيجة الامتيازات الواسعة التي حصلوا عليها، بدأ بعض قادة المارتولوس بالتصرف باستقلالية عن الدولة، ما أدى إلى تراجع الثقة بهم. وقد أشارت الوثائق العثمانية في القرن الثامن عشر إلى حالات تمرد محدودة لبعض وحداتهم، خاصة في ألبانيا والبوسنة، مما دفع الدولة إلى حل عدد من وحداتهم⁽⁵⁰⁾.

٣- التغيرات السياسية في البلقان

ساهم صعود الحركات القومية في أوروبا الجنوبية في إضعاف موقع المارتولوس، إذ أصبحوا بين مطرقة الولاء للدولة العثمانية وسندان انتمائهم القومي المحلي، مما عجل بانحسار دورهم العسكري⁽⁵¹⁾. يُظهر هذا المبحث أن المارتولوس أدوا دورا استراتيجيا بالغ الأهمية في التاريخ العسكري العثماني، إذ جمعوا بين مهام الدفاع، والهجوم، والاستخبارات، وحفظ الأمن الداخلي. لقد ساعدوا الدولة العثمانية في ترسيخ وجودها في البلقان لأكثر من ثلاثة قرون، مستفيدين من معرفتهم المحلية وخبرتهم الجبلية إلا أن تحول البنية العسكرية العثمانية نحو التنظيم الحديث، وتبديل الولاءات المحلية، أدى تدريجيا إلى زوال هذا النظام بحلول القرن التاسع عشر.

المبحث الرابع : العسكري والأمني للمارتولوس في الحملات العثمانية

اولا - المهام القتالية للمارتولوس

كانت المشاركة في الحروب الحدودية من أبرز مهام المارتولوس ضد الممالك الأوروبية، ولاسيما في البلقان والمجر، حيث كانوا يشكلون طليعة الجيش العثماني في المناطق الجبلية والوعرة. وقد أشارت المؤرخة كارولين فنكل إلى أن الدولة العثمانية اعتمدت على المارتولوس كقوة استطلاع

وضرب سريعة الحركة في المناطق التي يصعب على الجيش النظامي التغلغل فيها.⁽⁵²⁾ كان المارتولوس يسبقون الجيش الرئيسي لتأمين الطرق والمعابر، وجمع المعلومات عن مواقع العدو، مما جعلهم عنصراً حاسماً في الحروب الاستطلاعية والهجومية على حد سواء. وقد ساهموا في إحرار النصر في معارك عديدة، منها معركة نيقوبولس عام ١٣٩٦م التي شاركوا فيها بدور استخباري ولوجستي مهم.⁽⁵³⁾ وفي حرب العصابات والكمائن اعتمد المارتولوس أسلوب حرب العصابات والمباغثة في مواجهة أعداء الدولة، إذ كانوا يهاجمون بسرعة ثم ينسحبون إلى الجبال أو الغابات. هذا النمط من القتال مكنتهم من إضعاف الخصوم دون خوض معارك مباشرة، وأثبتت فاعليته في الحروب ضد الإمارات المتمردة والفرسان الأوروبيين في البلقان.⁽⁵⁴⁾ ودعم الحملات الكبرى في الحملات الكبرى، مثل فتح القسطنطينية ١٤٥٣م وحروب المجر، كان المارتولوس يشاركون بوصفهم قوات أسناد ومهام خاصة، تشمل نقل الإمدادات وتأمين الخطوط الخلفية ومرافقة القوافل العسكرية. ويذكر شكيب أرسلان أن السلطان محمد الفاتح اعتمد على بعض فرق المارتولوس في مهام استطلاعية ليلية أثناء حصار القسطنطينية، نظراً لقدرتهم على التخفي والتنقل السريع.⁽⁵⁵⁾

ثانياً - الدور الأمني والاستخباري للمارتولوس

لعب المارتولوس دوراً أساسياً في العمل الاستخباري المحلي. فقد كُلفوا بجمع المعلومات عن تحركات الجيوش المعادية، ومراقبة الطرق والمعابر، وإرسال التقارير إلى القيادة العسكرية في الولايات الحدودية.⁽⁵⁶⁾ كانت هذه المهام تتطلب كفاءة عالية في الملاحظة والتخفي، وهو ما جعل الدولة العثمانية تميزهم عن غيرهم من القوات شبه النظامية. كما اعتمدت عليهم في مكافحة التمردات الداخلية، إذ كان المارتولوس يكلفون كذلك في قمع التمردات المحلية، لاسيما تلك التي تقع في المناطق الجبلية أو الريفية البعيدة عن سلطة الولاية. فضلاً عن حماية القلاع والمواقع الحيوية أسندت إليهم الدولة مهمة حراسة القلاع والمعابر المهمة في البلقان والأناضول، إذ تولوا مراقبة الأنشطة المشبوهة ومنع تسلل الجواسيس وفي بعض الحالات تم تكليفهم بحراسة المخازن والسفن العسكرية في الموانئ، وذلك يعكس الثقة العالية التي أولتها لهم الدولة.⁽⁵⁷⁾ لذلك فقد أشار المؤرخ نورمان ليتزكوفيز ((إلى أن المارتولوس أدوا دور الشرطة العسكرية في ضبط الأمن الداخلي، وحماية طرق التجارة، ومكافحة السطو المسلح⁽⁵⁸⁾

ثالثاً - تقييم الدور العسكري والأمني للمارتولوس

١- **الإيجابيات:** مرونتهم العالية وسرعة استجابتهم للأوامر العسكرية، وخبرتهم الواسعة في البيئة الجغرافية للبلقان والأناضول، وإخلاصهم للدولة بفضل الامتيازات التي منحتها لهم، ودورهم المحوري في دعم الحملات الكبرى وتأمين الحدود.⁽⁵⁹⁾

٢- **السلبيات:** ضعف الانضباط العسكري مقارنة بالقوات النظامية، تفاوت الولاءات بسبب استمرار ارتباط بعضهم بالزعامات المحلية، بعض حالات التمرد في القرن السابع عشر، نتيجة تراجع المكافآت وفقدان الامتيازات.⁽⁶⁰⁾

٣- **الأثر التاريخي:** يمكن القول إن المارتولوس شكلوا نموذجاً مبكراً لقوات الأمن المرنة متعددة المهام، تمزج بين الطابع العسكري والأمني. وقد أسهموا في ترسيخ السيطرة العثمانية على المناطق الحدودية لأكثر من قرنين، مما جعلهم ركيزة أساسية في منظومة الدفاع الداخلي والخارجي للدولة.

البحث الخامس: التحولات في مكانة المارتولوس وتراجع دورهم في الدولة العثمانية

أولاً- العوامل المؤدية إلى تراجع المارتولوس

١- التحول في النظام العسكري العثماني

مع بداية القرن السابع عشر، بدأت الدولة العثمانية تعيد تنظيم مؤسستها العسكرية لمواكبة التطورات الأوروبية في التسليح والتكتيك، فظهر نظام جديد قائم على الجيش النظامي (النظام الجديد) في عهد السلطان سليم الثالث. هذا التطور أدى إلى تراجع أهمية الوحدات شبه النظامية مثل المارتولوس، الذين أصبحوا غير قادرين على مواكبة التنظيم العسكري الحديث⁽⁶¹⁾. كما أن اعتماد الدولة على المدفعية والأسلحة النارية المتقدمة جعل مهام المارتولوس التقليدية في الكمان والقتال الجبلي أقل فاعلية، مما دفع القيادة العسكرية إلى تقليص أعدادهم تدريجياً.⁽⁶²⁾

٢- الاضطرابات السياسية والإدارية

شهدت الدولة العثمانية في القرنين السابع عشر والثامن عشر تزايداً في الفوضى الإدارية والتمردات المحلية، ما أثر في ولاء بعض وحدات المارتولوس. فقد كانت امتيازاتهم المالية تخفض أو تلغى أحياناً، مما أدى إلى فقدانهم الدافع للخدمة، واتجاه بعضهم إلى أعمال السلب أو الارتزاق⁽⁶³⁾. كما أن انشغال الولاية في شؤونهم الخاصة قلل من الرقابة على هذه الوحدات، فقدت جزءاً من هيبتها العسكرية وانضباطها التنظيمي⁽⁶⁴⁾

٣- ضعف المركزية العثمانية

مع تراجع السلطة المركزية في إسطنبول، بدأ نفوذ الزعامات المحلية في البلقان يزداد، مما جعل المارتولوس في بعض المناطق أداة بيد الإقطاعيين أو الولاة المحليين بدلا من كونهم قوة تابعة للدولة. هذا التحول أدى إلى فقدان الدور الموحد للمارتولوس وتحولهم إلى مجموعات محلية متفرقة (65)

ثانيا - اندماج المارتولوس في النظام العسكري الجديد

ابتداءً من منتصف القرن الثامن عشر تحول المارتولوس إلى وحدات شرطة محلية، إذ أعادت الدولة توزيع بعض المارتولوس ضمن جهاز الأمن الداخلي، فأصبحوا قوات شرطة محلية مسؤولة عن الأمن في القرى والمناطق الجبلية (66) بهذا الشكل استمر وجودهم ولكن بصيغة مختلفة، فقد انتقلت مهمتهم من القتال العسكري إلى حفظ النظام العام ومكافحة التمردات الصغيرة. أما الاندماج في جيش النظام الجديد الذي تأسس في عهد السلطان سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧م)، فقد تم إدماج عدد من المارتولوس في صفوف الجيش، خاصة أولئك الذين تلقوا تدريباً عسكرياً جيداً، وقد استفادت الدولة من خبراتهم في المناطق الجبلية والمرتبات الصعبة، لتوظيفهم في وحدات الاستطلاع والدوريات (67) تم إنهاء النظام التقليدي للمارتولوس مع بدايات القرن التاسع عشر، إذ اختفى نظام المارتولوس تدريجياً بعد الإصلاحات الكبرى التي قام بها السلطان محمود الثاني، بعد أن تم حل الوحدات القديمة وإعادة بناء الجيش العثماني على أسس نظامية حديثة. وبذلك انتهى الوجود التنظيمي للمارتولوس، لكن أثرهم بقي واضحاً في تاريخ التشكيلات الأمنية والعسكرية العثمانية (68)

ثالثاً- تقييم تاريخي للمارتولوس

١- الإرث العسكري للمارتولوس: يمثل المارتولوس نموذجاً فريداً في التاريخ العسكري العثماني، فهم أول من جسّد فكرة الجيش المحلي المتعاون مع الدولة المركزية. لقد مهدوا الطريق أمام ظهور وحدات أمنية وجيش دائم يعتمد على السكان المحليين، وهو ما يعد أساساً لتطور أجهزة الأمن في الدولة الحديثة (69)

٢- التأثير في السياسة العثمانية في البلقان: ساهم المارتولوس في تعزيز السيطرة العثمانية على البلقان خلال القرون الأولى من الحكم، وساعدوا في ترسيخ الولاء المحلي عبر الامتيازات والمناصب. لكن ضعفهم لاحقاً كان مؤشراً على أفول النفوذ العثماني في أوروبا (70)

٣- الدروس المستفادة: تظهر تجربة المارتولوس أهمية الموازنة بين الولاء المحلي والانضباط المركزي، إذ إن ضعف الإدارة المركزية وفقدان الدعم المادي أديا في النهاية إلى انهيار هذه المؤسسة. كما توضح التجربة أن مرونة التنظيم العسكري يجب أن تتوافق مع إشراف فعال من الدولة للحفاظ على تماسكها (71)

الذاتة

بعد الخوض في نشأة المارتولوس ونشاطهم العسكري في الدولة العثمانية، يتضح أن هذه الفئة مثلت أحد أهم العناصر المساندة للمؤسسة العسكرية العثمانية في فترتها الكلاسيكية. فقد نشأ المارتولوس في بيئة جغرافية وعسكرية معقدة، وكانوا حلقة وصل بين الإدارة المركزية العثمانية والسكان المحليين في المناطق المفتوحة حديثاً، خاصة في البلقان. اعتمدت الدولة العثمانية على المارتولوس لتأمين حدودها، وجمع المعلومات، ومواجهة العصابات المتمردة، فضلاً عن دورهم الفاعل في الحملات الكبرى. ذلك الدور المزدوج العسكري والأمني جعلهم نموذجاً مبكراً للقوات شبه النظامية التي تجمع بين الطابعين العسكري والإداري. ومع ذلك فإن التطورات اللاحقة في بنية الدولة العثمانية، ولاسيما الإصلاحات العسكرية في القرنين السابع عشر والتاسع عشر، أدت إلى تراجع دور المارتولوس وانقراضهم تدريجياً نتيجة لعوامل سياسية وإدارية وتنظيمية، أهمها ضعف المركزية العثمانية وتبدل طبيعة الحروب الحديثة. لقد أثبتت هذا البحث أن المارتولوس لم يكونوا مجرد قوات محلية مساعدة، بل مؤسسة قائمة بذاتها، ساهمت في ترسيخ الأمن والولاء في أطراف الدولة، وأسهمت في تحقيق استقرارها السياسي والعسكري على مدى قرون. يعد المارتولوس من أقدم النظم شبه النظامية في الجيش العثماني، وقد سبقوا ظهور الإنكشارية في بعض المناطق الحدودية وارتبط وجودهم بالسيطرة العثمانية على البلقان، حيث كانوا أداة لضبط الأمن والتجسس على الأعداء المحليين. شكل المارتولوس عنصراً حيوياً في التكامل بين الجيش النظامي والسلطة المحلية، إذ جمعوا بين الخدمة العسكرية والإدارة الأمنية، وأسهمت الامتيازات الدينية والاقتصادية التي منحتها لهم الدولة في ضمان ولائهم، لكنها أدت لاحقاً إلى نشوء تفاوتات داخلية وصراعات إدارية. كما انهم لعبوا دوراً استخبارياً مهماً، من خلال مراقبة الحدود وجمع المعلومات الميدانية للقيادة العثمانية. تراجع دورهم نتيجة تطور الأسلحة الحديثة وظهور الجيوش النظامية في القرن التاسع عشر.

المصادر والمراجع

- ١- أحمد آق كوندوز، الدولة العثمانية المجهولة: حقائق مجهولة عن الدولة العثمانية، إسطنبول، ١٩٩٨.
- ٢- أحمد السعيد سليمان، النظم العسكرية والإدارية في الدولة العثمانية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥.

- ٣- احمد رشاد ، تاريخ الولايات العثمانية في البلقان، ط١، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٥.
- ٤- اسماعيل احمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٩٩٦.
- ٥- أكمل الدين احسان اوغلي، تاريخ الدولة العثمانية، تر: صالح سعداوي، اسطنبول، مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية (اريسكا)، ١٩٩٩، ج٢.
- ٦- خليل إينالجبك، الدولة العثمانية: العصر الكلاسيكي ١٣٠٠-١٦٠٠، ترجمة: محمد حرب، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٩٨.
- ٧- شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١١.
- ٨- ماركوس كولر، بناء الحدود العثمانية: الادارة والحرب في البوسنة في القرن السابع عشر، تر: سمير ابراهيم، ط١، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠.
- ٩- عبد اللطيف حسني، الاسلام في البانيا تحت الحكم العثماني (١٣٨٥-١٩١٢)، ط١، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠١.
- ١٠- محمد زكي، الجيش العثماني: تشكيلاته وتطوره العسكري في القرنين السادس عشر والسابع عشر، ط١، عمان، دار اليازوي العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠١٤.
- ١١- محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٩٩.
- ١٢- محمود شاكر، التاريخ الاسلامي: العهد العثماني، ط٢، بيروت، المكتبة الاسلامي، ١٩٩١.
- ١٣- هالت، ج، و، اصول التاريخ العثماني، ترجمة: زكي محمد حسن، القاهرة، دار المعارف، ٢٠٠٢.
- 14- Bilge Keser , Osmanli Devletinde Martolos Teskilati,Erzurum ,Ataturk Universitesi Turkiyat Arastirmalari Enstitusu Dergisi ,Cilt 12, 1999.
- 15- Cambridge University ,The Cambridge History of Turkey :Ottoman war fare 1300- 1453, U.K,Cambridge University Press , 2020 .
- 16- Caroline Finkel ,osmans Dream: The History of the ottoman Empire 1300- 1923, London , John Murray , 2005.
- 17- ColinImber, The Ottoman Empire, 1300–1650: The Structure of Power Palgrave, Macmillan, 2002.
- 18- David Nicolle , Armies of the ottoman Turks 1300-1774, London,Osprey Publishing,1983.
- 19- Encyclopaedia of Ottoman Empire, Gabo Agoston & Bruce Alan , New York, Factson File , 2009.
- 20- Halil Inalcik ,The Ottoman Empire: The Classical Age 1300–1600, London, Weidenfeld & Nicolson ,1973.
- 21- Mirko Mirkovis, Die Martolosen im Osmanischen Reich, Belgrade, 1971.
- 22- Mesut Uyar & Edward j , Amilitary History of the Ottomans:From Osman to Ataturk, USA, Praeger Security Inernational ,2009.
- 23- Mithat Sertoglu , Martolos entry in osmanli Tarih Lugati ,Ankaram ,DTCF , 1986.
- 24- Norman Ltzkowitz ,Ottoman Empire and Islamic Tradition, Chicago, University of Chicago Press , 1980.
- 25- Robert Anhegger , Martoloslar Hakkinda,Istnbul, Journal of Turkology,Cilt 7, 1942.
- 26- Rhoads Murphey ,Ottoman war fare 1500-1700, New Jersey , Rutgers University press ,1999.
- Virginia H . Aksan & Daniel Goffman ,The Early Modren ottomans : Remapping the Empire ,U.K , Cambridge University press ,2007.

هوامش البحث

- ¹- خليل إينالجبك، الدولة العثمانية: العصر الكلاسيكي ١٣٠٠-١٦٠٠، ترجمة: محمد حرب، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٩٨، ص٢١٧.
- ²- السلطان مراد الاول: هو السلطان العثماني الثالث وابن السلطان اورخان، ولد في بورصه عام ١٣٢٦م، كان لقب ب(خداوندكار) اي المختار من الله، يعد المؤسس الحقيقي للدولة العثمانية في اوربا عندما قام بنقل العاصمة الى ادرنة، واسس نظام الانكشارية، ووضع النظم الادارية للدولة العثمانية مثل استحداثه لمنصب الصدر الاعظم، وقاضي العسكر. استشهد في معركة قوصوة عام ١٣٨٩. لمزيد من التفاصيل ينظر: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٩٩، ص ١٣١.
- ³ - المصدر نفسه، ص١١٢.

٤- شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١١، ص٨٦.

5- Halil Inalcik, The Ottoman Empire: The Classical Age 1300–1600, London, Weidenfeld & Nicolson ,1973,P.118

6- ColinImber, The Ottoman Empire, 1300–1650: The Structure of Power. Palgrave Macmillan, 2002,P.155.

٧- أحمد آق كوندوز، الدولة العثمانية المجهولة، إسطنبول، ١٩٩٨، ص ٢٢٤.

8- التيمارات: ومفردا تيمار وهو نظام اقطاعي عسكري اداري طبقته الدولة العثمانية، يعتمد على منح السلطان قطعة من الارض لشخص يسمى بالتيمارلي، مقابل قيامه بالقتال مع الدولة العثمانية وتجهيزها بالمقاتلين والخيول ومستلزمات الحرب، فضلا عن قيامه بمهام عسكرية وامنية في المنطقة الموكلة اليه. لمزيد من التفاصيل: ينظر: احمد السعيد سليمان، النظم العسكرية والادارية في الدولة العثمانية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥، ص ٨٤.

9 - Halil Inalcik,A.g.e, P. 120

10 -Encyclopaedia of Ottoman Empire, Gabo Agoston & Bruce Alan, New York, Factson File, 2009,P.101.

11 - Mesut Uyar & Edward j, Amilitary History of the Ottomans:From Osman to Ataturk, USA, Praeger Security International ,2009.P.75.

12 - Ibid

13- ColinImber,op.cit,P.158.

14- Mesut Uyar & Edward j, op.cit,p.80.

15 -Halil Inalcik,A.g.e,S. 129

١٣٤ - شكيب أرسلان، المصدر السابق، ص ١٣٤

17- Mesut Uyar & Edward j, op.cit,p.82.

18 - محمود الثاني: هو السلطان الثلاثين للدولة العثمانية، ولد في قصر طوب قابي عام ١٧٨٥م، وتولى العرش عام ١٨٠٨م، تأثر بأفكار عمه السلطان سليم الثالث الاصلاحية، قام باصلاحات كبيرة في الدولة العثمانية من أهمها ما عرفت بالواقعة الخيرية المتمثلة بالقضاء على الانكشارية عام ١٨٢٦م، فضلا عن الاصلاحات الادارية وغيرها من الاصلاحات، توفي عام ١٨٣٩. لمزيد من التفاصيل ينظر: اكمل الدين احسان اوغلي، تاريخ الدولة العثمانية، تر: صالح سعداوي، اسطنبول، مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية (ارسيكا)، ١٩٩٩، ج ٢، ص ٨٢.

19- Bilge Keser, Osmanli Devletinde Martolos Teskilati,Erzurum ,Ataturk Universitesi Turkiyat Arastirmalari Enstitusu Dergisi ,Cilt 12, 1999,S.195

20- Robert Anhegger,Martoloslar Hakkinda,Istnbul, Journal of Turkology,Cilt 7, 1942,S.281

21- Mesut Uyar & Edward j, op.cit,P.86.

22 - Mirko Mirkovis, Die Martolosen im Osmanischen Reich, Belgrade, 1971,PP112-118.

23 - Bilge Keser,A.g.e,S.199.

24 - لمزيد من التفاصيل ينظر: شكيب أرسلان، المصدر السابق، ص ١٣٥

25- Robert Anhegger,A.g.e,S.291

26- Mesut Uyar & Edward j, op.cit,P.89.

27 - Bilge Keser,A.g.e,S.199.

28- Mithat Sertoglu, Martolos entry in osmanli Tarih Lugati ,Ankaram ,DTCF ,1986, S.89

29 - بايزيد الثاني: هو بايزيد بن السلطان محمد الفاتح ولد عام ١٤٤٧م، تولى حكم الدولة العثمانية عام ١٤٨١م، عن عمر يناهز ٣١ عاما، شهد عهده استقرارا داخليا للدولة العثمانية، كما كان له دور كبير في انقاذ مسلمي ويهود الاندلس من محاكم التفتيش الاسبانية عام ١٤٩٢م، توفي عام ١٥١٢م عن عمر يناهز ٦٥ عاما. لمزيد من التفاصيل ينظر: اسماعيل احمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٩٩٦، صص ٥٣-٥٧.

30 - Bilge Keser,A.g.e,S.209.

31- Mesut Uyar & Edward j, op.cit,P.92.

32 -Robert Anhegger,A.g.e,S.291.

33- David Nicolle, Armies of the ottoman Turks 1300-1774, London,Osprey Publishing,1983,P.525

34 -Mesut Uyar & Edward j, op.cit,P.98.

35 -David Nicolle, op.cit,P.529.

36- Bilge Keser,A.g.e,S.211.

37- فلاديسلاف الثالث: ملك بولندا والمجر ولد عام ١٤٢٤م، تولى عرش بولندا عام ١٤٣٤م، وعرش المجر عام ١٤٤٠م، عرف بلقب (فارنيتشك) نسبة الى معركة فارنا التي قاد فيها التحالف الالوي ضد الدولة العثمانية في عهد السلطان مراد الثاني، قتل في ارض المعركة عام ١٤٤٤م، بعد نكته لاتفاقية السلام، مما ادى الى انهيار التحالف الصليبي وتثبيت النفوذ العثماني في البلقان. لمزيد من التفاصيل ينظر: هالت، ج، و، اصول التاريخ العثماني، ترجمة: زكي محمد حسن، القاهرة، دار المعارف، ٢٠٠٢، صص ١٦٢-١٦٥.

38 -Robert Anhegger,A.g.e,S.295.

39- Norman Ltzkowitz ,Ottoman Empire and Islamic Tradition, Chicago, University of Chicago Press, 1980, P.197.

٤٠ - شكيب أرسلان، المصدر السابق، ص ١٤٢

- 41- اليوسكوك: هم مجموعات من المقاتلين واللاجئين المسيحيين غالبيتهم من الكروات والصرب الذين فروا من الاراضي التي فتحها العثمانيون في البلقان واستقروا في المناطق الحدودية، خاصة في مدينة كلين وسينج على ساحل البحر الادرياتيكي. اعتمدوا اسلوب حرب العصابات والقرصنة البحرية ضد السفن العثمانية، وكانوا يعملون تحت حماية النمسا كقوة دفاعية حدودية غير نظامية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين. لمزيد من التفاصيل ينظر: محمود شاكر، التاريخ الاسلامي: العهد العثماني، ط٢، بيروت، المكتب الاسلامي، ١٩٩١، ص ص ١٤٨-١٥٠.
- 42- المصدر نفسه، ص٢١٨؛ ماركوس كولر، بناء الحدود العثمانية: الادارة والحرب في البوسنة في القرن السابع عشر، تر: سمير ابراهيم، ط١، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠، ص ١٨٨.
- 43 - محمود شاكر، المصدر السابق، ص٢١٨.
- 44- Caroline Finkel ,osmans Dream: The History of the ottoman Empire 1300- 1923, London , John Murray, 2005, P.510.
- 45- اشقودرة: مدينة تاريخية تقع شمال غرب البانيا عند مخرج بحيرة اشقودرة، وتعد من اقدم المدن في منطقة البلقان. فتحها العثمانيون عام ١٤٧٩م بعد حصار طويل وشاق بقيادة السلطان محمد الفاتح. وبقيت تحت الحكم العثماني حتى عام ١٩١٣م. لمزيد من التفاصيل ينظر: عبد اللطيف حسني، الاسلام في البانيا تحت الحكم العثماني(١٣٨٥-١٩١٢)، ط١، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠١، ص٨٢.
- 46- محمد زكي، الجيش العثماني: تشكيلاته وتطوره العسكري في القرنين السادس عشر والسابع عشر، ط١، عمان، دار الياوزي العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠١٤، ص٢٠٤.
- 47 - لمزيد من التفاصيل ينظر: احمد رشاد، تاريخ الولايات العثمانية في البلقان، ط١، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٥، ص١١٢.
- 48 -Norman Ltzkowitz, op.cit ,P.531.
- 49 - Robert Anhegger,A.g.e,S.297.
- 50 - شكيب أرسلان، المصدر السابق، ص ١٤٥
- 51 -Cambridge University,The Cambridge History of Turkey: Ottoman war fare 1300- 1453, U.K,Cambridge University Press, 2020, P.P.198-201.
- 52- Caroline Finkel, op.cit,P.513.
- 53- Norman Ltzkowitz, op.cit ,P.535.
- 54- Colin Imber , Op.cit ,P.167.
- 55- شكيب أرسلان، المصدر السابق، ص ١٥٧
- 56- Rhoads Murphey ,Ottoman war fare 1500-1700, New Jersey, Rutgers University press ,1999, P.221.
- 57 -Colin Imber, op.cit ,P.170.
- 58 -Norman Ltzkowitz, op.cit ,P.537.
- 59 - لمزيد من التفاصيل ينظر: Rhoads Murphey, op.cit ,P.٢٢٦.
- 60 - لمزيد من التفاصيل ينظر Virginia H . Aksan & Daniel Goffman ,The Early Modren ottomans : Remapping the Empire ٣١٤.,U.K , Cambridge University press ,2007 ,P
- 61- Colin Imber, op.cit ,P.181.
- 62- Virginia H . Aksan & Daniel Goffma, op.cit ,P.317.
- 63- Rhoads Murphey,op.cit ,P.232.
- 64- Cambridge University,op.cit ,P.211.
- 65 -شكيب أرسلان، المصدر السابق، ص ١٧٢
- 66 - Caroline Finkel, op.cit,P.523.
- 67 -Colin Imber, op.cit,P.187.
- 68 -Virginia H . Aksan & Daniel Goffma, op.cit ,P.323.
- 69 - لمزيد من التفاصيل ينظر Robert Anhegger, A.g.e,S.٣٠١.
- 70 - شكيب أرسلان، المصدر السابق، ص ١٧٨
- 71- Norman Ltzkowitz, op.cit ,P.542.